جنة العبيط أو أدب المقالة

تأليف الدكتور زكي نجيب محمود

تمنيت لو لم يكن هذا الكتاب لصديق ، إذن لاستطعت أن أوفيه ما هو كفاءله من ثناء في غير حرج ، ولكن فيم الحرج ، وأنا أنظر إليه بعين النقد وبعين الحب معاً فأتحدث حديث الخبير الواثق ؟

لم يعد زكي نجيب في حاجة إلى أن يقدم إلى القراء فقد صارت له في نفوسهم مكانة حميدة بمؤلفاته الجيدة في الفلسفة والأدب ، وإنما أقدم كتابه هذا إلى القارىء مغتبطا أشد الاغتباط ، فإن له لشأناً عما قريب في أدبنا واتجاهه وفي جانب المقالة منه بوجه خاص ...

رأى الدكتور زكي أن المقالة الأدبية في مصر تسير على غير نهج معلوم ، فهي تصلح أن تكون خطبة أو موعظة أو جدلا أو بحثاً علمياً أو تاريخياً أو ما شئت غيرها ، ولكنها ليست بسبب من المقالة التي اصطلح عليها نقدة الأدب الانجليزي في قليل أو كثير ، وهو لم يكتب كتابه هذا ليصحح به هذا الوضع ، ولكنه كتب مقالاته على غرار ما فهم بعد درس ، وأشهد لقد بلغ فيها جيداً من التجويد ما لا ينزل به قط عن مستوى فحول المقالة في الأدب الأنجليزي ، ولقد جاء بعضها في نسق لا أتردد أن أقول إني قلما وقعت على نظائره ، خذ لذلك مثلا البرتقالة الرخيصة ، والكبش الجريح ، وحكمة البوم ، وجنة العبيط ، وشعر مصبوغ ، وبيضة الفيل

واجتمعت له طائفة من هذه المقالات فأشرت عليه وألححت أن يطبعها وهو يتردد ويتململ ، ولكني ما زلت به حتى أجابني إلى ما أردت ... اختار المؤلف اسم أحد مقالاته عنواناً لكتابه فكان جد موفق وهذا الاسم هو جنة العبيط « أما العبيط فهو أنا ، وأما جنتي فهي أحلام نسجتها على مر الأعوام عريشة ظليلة ، تهب فيها النسائم عليلة بليلة ، فإذا ما خطوت عنها خطوة إلى يمين أو شمال أو أمام أو وراء ، وافتحتني الشمس بوقدتها الكاوية عدت إلى جنتي أنعم فيها بمزلتي ، كأنما أنا الصقر الهرم ، تغفو عيناه ، فيتوهم أن بغاث الطير تخشاه ، وينفتح عينيه فإذا بغاث الطير تفرى جناحيه ، ويعود فيغفو ، ليغنم في غفوته بحلاوة غفلته » .

ولكم نعمتُ أنا في هذه الجنة وتفيأت ظلالها حتى ما أطيق أن أخرج منها ، ولكم عدت إليها ؛ أجل كم عدت إلى هاتيك المقالات أكثر من مرة فازدت إلا استمتاعاً بها وبأدب صاحبها ولكم أعجبت بهدوء نغمته وصدق نظرته وعمق فكرته وحلو فكاهته ورقيق سمره ، كل أولئك دون أن أحس أنه قصد إلى شيء من هذا ، وهذا هو فن الكتاب ، وهذا هو أدب المقالة كما بينه المؤلف في مقدمة كتابه ، ثم هذا هو سر الجمال في هذا الكتاب البديع . ولقد خاطب المؤلف الفاضل قارئه في صدر كتابه بقوله « نشدتك الله لا تحكم على قيمة هذا الكتاب بقيمة كاتبه ، إن كاتبه ليرجو أن يكبر في عينيك بهذا الكتاب ... نشدتك الله لا تحكم على هذا الكتاب بمعيار قادة الأدب في بلادنا ؛ إنما نشرت هذا الكتاب لأناهض به أولئك القادة فكأنما بهذا الكتاب أقول : من هنا الطريق يا سادة لا من هناك » .

زكي يا صديقي ... هات ، هات من أحلام جنتك فإنا إلى مثل هذا الأدب عطاش .

المحقيف

إخوان الصفا[1]

تأليف الأستاذ عمر الدسوقي

الأستاذ بكلية دار العلوم

إخوان الصفا جماعة بارزة بين مفكري الإسلام ، يمتاز الباحثون بآرائهم ، وإن اختلفوا في حقيقة أمرهم ، وقد كتبت عنهم رسائل صغار ، ومقالات قصار ، ولكن الأستاذ عمر الدسوقي قصر كتابه هذا عليهم ، وتفرد ببحوث منفصلة عن عوامل ظهورهم ، وروافد ثقافتهم وحقيقتهم ، وناقش المرحوم أحمد زكي باشا مناقشة عنيفة في نسبته هذه الرسائل إلى مسلمة بن قاسم الأندلسي وفي نفيه أن المجريطي ألف رسائل مثلها ، ثم كان له السبق في تجلية آرائهم ، وجمع شتاتها ، والموازنة بينها وبين آراء من سبقهم أو جاء بعدهم من فلاسفة الشرق والغرب ، منتفعاً بدراسته العربية في كلية

(١) من مؤلفات الجمعية للفلسفية المصرية .

دار العلوم وبثقافته الغربية في جامعة لندن ، ثم تميز ببحث قيم مبتكر عن آرائهم في التربية .

عقد المؤلف الفصل الأول لدراسة الحياة السياسية في القرن الرابع ؛ لأنهم ثمرة عوامل عدة منها الحالة السياسية « والكائن المستقل عما قبله وما بعده والذي لا يتأثر بشيء مما حوله ولا يتأثر بشيء مما سبقه أو أحاط به — لا عهـــد للعالم به حتى اليوم ، فالمصادفة محال » .

ثم عقد الفصل الثاني للحياة العقلية ، فتكلم عن السريان وأثرهم ، وعن نشأة الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ، وأثر الفلسفة اليونانية في العقل العربي ، وخلص من ذلك إلى أنهم تأثروا بالكندي في فلسفته الطبيعية ، وبالمترجمين وآرائهم ، وبالفارابي في إحصائه للعلوم ، حتى وضعوا رسائلهم التي تشبه دوائر المعارف بالنسبة إلى زمانهم .

ثم تتوالى الفصول بعد ذلك عن إخوان الصفا ، وزمانهم ، ومكانهم ، ونظام جماعتهم ، ومذهبهم ، وفلسفتهم ، ورأيهم في النفس الإنسانية وفي التربية ، معروضة عرضا علمياً واضحاً مستخلصاً من رسائلهم .

ويجمل بنا أن نعرض بعض آرائهم التي استخلصها المؤلف من رسائلهم ، فهم مثلا يدينون بخلود النفس بعد أن تفارق الجسد ، ويوازن المؤلف بين رأيهم ورأي أفلاطون في (الجمهورية) وفي (جورجياس) ، ثم بين الرأيين في خلود كل نفس وبين رأي أرسطو في خلود النوع الإنساني . وهم يذهبون إلى أن البعث إنما يكون بأحوال تطرأ على النفس بعد انسلاخها من الجسد ، ويقولون بخلود العالم ، ويتساءل المؤلف : كيف يتفق هـذا الرأي المخالف للدين الإسلامي مع آيات القرآن الكريم ؟ ويورد تفسيرهم لآيات البعث تفسيراً قائماً على التأويل ، ويحكم بأن هذا تعسف وتكلف . ثم هم يذهبون إلى أن المعلم دعامة في صرح الأمة ، وعلى الآباء أن يتخيروا لبنيهم المعلم الصالح المستنير المتحلي بفضائل عدُّوها والمبرأ من رذائل أحصوها ، والمعلم كالأب له على تلميذه حقوق الأب .

وتكلموا عن التلميذ والمنهج الدراسي الملائم له وطريقة تحصيله للعلم ، واهتموا باستخدام الحواس في التحصيل اهتماماً زائداً في مواضع شتى ، وسبقوا برأيهم (بستالوتزي) في عنايته بالملاحظة والإدراك الحسي ، وسبقوا (هربارت) في نظرية الاستطلاع ، وبقولهم إن قوى النفس الإنسانية متحدة مرتبط بعضها ببعض .

ثم هم يذهبون في التربية الخلقية إلى أن الخير يجب أن يعمل حباً في الخير ، لا رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب ، لأن هذا الخير المحض هو السعادة ، ويقرر المؤلف أنهم سبقوا بهذا الرأي الفيلسوف الألماني (كانت) الذي بنى فلسفته الأخلاقية على أن الخير يجب أن يعمل لذاته . ثم يعرض المؤلف رأيهم في الفضيلة وتأثرهم بأرسطو في أنها وسط بين رذيلتين .

وبعد ، فهذه لمحات أو قطفات سراع من هذا البحث الممتع القيم ، وكانت آراء إخوان الصفاء زهرات مبعثرات ، فجمعها المؤلف في طاقة منسقة كانت هذا الكتاب ، ومن ذا الذي لا تهفو نفسه إلى أن يستمتع من هذه الطاقة بنظرات وسبحات؟

أحمد محمد الحوفي

زقاق المـــدق

(قصة للأستاذ نجيب محفوظ)

هو اللوحة الحية الرائعة التي رفعت عنها ريشة الفنان البارع الأستاذ نجيب محفوظ . وقد يعجب القارىء من ناقد يفتتح مقال نقده بهذا المديح الجارف ؛ ولكن مهما يكن الناقد مسرفاً في تزمته ، فإنه إزاء نجيب لا يملك غير المديح المتدفق يجري على قلمه لا يقف في سبيله أي عارض من عوارض التوتر التي تركب النقاد. بل إنه يجد خلف هذا الاندفاع ما يشجعه على المضي في السبيل التي يسلك حتى يريح ضميره الأدبي مما يحسه نحو هذا النابغة الفنان ... وقد أصبح الهدم في أيامنا هذه بضاعة سهلة ، يسومها كل محاول للكتابة ... يظنون أن الشتيمة جرأة ... يا هؤلاء ! إنكم إذ تشتمون تظهرون بمظهر الجرأة حين لا جرأة لديكم ، لأن من تشتمون لا يملك أن يلحق بكم أذى . ولكنكم إن مدحتم استهدفتم لقول القوم : إنهم يتملقون . وما أجرأ من يعرض نفسه لهذه القالة ... وهأنذا أمدح ... لا عن رغبة في إظهار جرأتي ، فلن يظن بي أحد تملقاً ... لكن رغبة في أن يكون الحق — حتى ولو كان مديحاً — هو الحكم الوحيد الذي نخضع له ضمائرنا ... إنني أعلن في يقين راسخ أن نجيباً أصبح في القمة الشاهقة التي يعتليها كبار كتاب القصة المصرية .